الفضاءات العمومية والروابط الاجتماعية

public spaces and social links

سوالمية نورية*[1]، غراز الطاهر[2]

[1] جامعة معسكر (الجزائر)، n.soualmia@univ-mascara.dz

[2] جامعة جيجل (الجزائر)، gherraz2015jijel@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/09/23 تاريخ القبول: 2020/12/07 تاريخ النشر: 2020/12/31

ملخص:

تقف هذه الورقة البحثية عند دور الفضاءات العمومية في خلق الروابط الاجتماعية بين الأفراد، والوصول إلى أهم الفضاءات الاجتماعية التي تربط بين الأفراد داخل فضاء مديني واحد.

ومن خلال الدراسة الميدانية توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها أنّ الفضاء العمومي يعد مجالا للمعاشرة الاجتماعية، يتيح للفرد تطوير شبكة علاقاته الاجتماعية من خلال الاحتكاك والتفاعل والالتقاء مع الآخرين، وتأخذ المعاشرة الاجتماعية عدة أشكال في الحياة اليومية. كما وتتعدد هذه الفضاءات، فهناك فضاءات خاصة بالرجال كالمقهى وأرصفة الطروقات، وفضاءات أخرى تعمل على خلق الرابط الاجتماعي كالمسجد والحديقة العامة ومدرسة الأطفال.

كلمات مفتاحية: الفضاء الاجتماعي؛ الفضاء العمومي؛ الرابط الاجتماعي؛ الألفة الاجتماعية؛ المعاشرة الاجتماعية.

---

* **المؤلف المرسل**

Abstract:

This study aims to find out the role of public spaces in creating social bonds between individuals, and the most important social spaces that connect individuals within an urban space.

The study found a set of results, the most important of which is that the public space is a field for social intercourse, allowing the individual to develop his social network of relationships through friction, interaction and meeting with others, and social intercourse takes many forms in daily life. There are special spaces for men such as a café and road sidewalks, and other spaces that work to create a social bond, such as a mosque, a public garden, and a children's school.

Keywords: Social space; public space; social links; social intimacy; social cohabitation.

1. مقدمة:

تعتبر الفضاءات الاجتماعية العمومية من أبرز ما يميز الطابع الحضري، ويمكن القول أنها السجل الاجتماعي الذي تبرز فيه مختلف سمات النظام الاجتماعي، وفي نفس الوقت تساهم تلك الفضاءات بدور فعال في تفاعل أفرادها وخلق علاقات وروابط اجتماعية من خلال مختلف الوظائف التي تقوم بها.

إن الفضاءات شرط من الشروط الأساسية التي تسمح بإقامة الروابط الاجتماعية وذلك في حدود معينة تقتضيها الوضعية المناطة بذلك الفضاء. وإن البحث في دلالات الفضاء باعتباره هندسة تبلور مختلف تمثلات وتصورات الأفراد، كما يتحدد إنتاج الممارسات على الوضع الذي يحتله الفاعل في الفضاء الاجتماعي وأيضا على المجال الذي تتم فيه هذه الممارسات؛ إذ أن هذه الفضاءات تعد مجالا هاما لملاحظة النماذج السلوكية التفاعلية للأفراد التي قد تعمل على تدعيم وتثبيت الرابط الاجتماعي أو تفكيكه وإضعافه.

ومنه نحاول من خلال هذه الورقة البحثية الوقوف على أهم الفضاءات العمومية التي تعمل على خلق الروابط الاجتماعية بين الساكنين في حي سكني واحد، من خلال دراسة ميدانية، اعتمدنا فيها على

عشر (10) أسر مبحوثة، استعملنا تقنية المقابلة نصف الموجهة من أجل فهم الظاهرة، والوصول إلى أهم الفضاءات الاجتماعية التي تربط بين الجيران في فضاء مديني واحد.

2.الفضاء الاجتماعي والفضاء العمومي

1.2 مفهوم الفضاء الاجتماعي:

يحمل الفضاء معان كثيرة ومرادفات متعددة فيقصد به المكان، المجال، الحيز وغيرها، وعليه الفضاء الاجتماعي هو المجال أو المكان أو الحيز الذي تدور حوله العلاقات الاجتماعية، أو هو: "المكان الذي يحدث فيه نسق من التفاعلات الاجتماعية"[1]

إن الفضاء كل شيء ولا شيء في آن واحد على حد تعبير **لودريت ريمون** R. Ledrut ؛ حيث يقول: "الفضاء إن شأنا كل شيء ولا شيء في نفس الوقت، أو بتعبير آخر شيء قليل وشيء كثير معا. وهذه المفارقة تجد تفسيرها بوضوح في كون جميع الكائنات في علاقة مجالية محضة (...) إن هذا الفضاء الذي يبدو كلاشيء يصبح كل شيء تقريبا لأنه من طبيعة وجودية ولأننا نعثر عليه في كل الأنحاء (...) وكلما تحدثنا عن الفضاء أو المجال إلا ونجد أنفسنا نتحدث عن الوجود وعن علاقات التواجد أي في نهاية الأمر عن الوجود[2]، وهذا تفسير واضح عن أهمية الفضاء في حياتنا لأنه متواجد فيها باستمرار، كما لا يمكن أن يدرس الفضاء بمعزل عن البنية الاجتماعية، فقد نفى **كاستل** M. Castells "وجود نظرية للفضاء دون أن تكون هذه الأخيرة جزء مندمجا ضمن نظرية اجتماعية شاملة"[3]، بمعنى لا يمكن النظر إلى الفضاء على أنه إنتاج مادي بمعزل عن العناصر الاجتماعية والمعنوية التي تدخل في تكوينه، كما أن الفضاء لا يوجد "إلا بما يحويه (...) فهو بناء منظم بما يتضمنه: أحداث، وأشخاص، وأفعال، واتصالات، وتعارف، وأشياء ..."[4] ، فكل هذه مجتمعة تشكل لنا الفضاء. ومنه الفضاء ظاهرة اجتماعية كلية تضم مختلف العناصر، والعلاقات، البيئة، وضعية الكائنات وحريتهم، ممارساتهم اليومية وعاداتهم وغيرها، وفي هذا الإطار يعتبر **حجيج** تنظيم الفضاء ظاهرة اجتماعية لا يمكن التقرب منها وفهمها إلا بالرجوع المباشر إلى الظواهر الاجتماعية الأخرى، يقول: "دراسة الفضاء معناه إبراز التفاعلات القائمة بين

الفضاء والمجتمع. وفي المرحلة الأولى يجب فهم العمليات التي تحدث أو التي حدثت حتى يتم بموجبها انجاز الفضاء، ثم في مرحلة ثانية يجب ملاحظة وتسجيل آثار هذا الفضاء على المجتمع ككل"[5]

إذن الفضاء هو إنتاج جماعي وجزء من الحياة الاجتماعية وهو يتجلى "كنموذج إبراز أو تعبير عن المجتمع (...) والعلاقة بالفضاء تحافظ على خصوصية الهويات"[6] مما يظهر أهمية ودور الممارسات الاجتماعية داخله، وإن دراسة الفضاء الاجتماعي "الذي يحمل علاقة الإنتاج وإعادة الإنتاج الاجتماعي سواء تعلق الأمر في ذلك بالجوانب البيوفيزيلوجية التي تنظم علاقة الجنسيين (...) أو علاقات الإنتاج وإعادة الإنتاج المتعلقة بتقسيمات العمل وتنظيماته فهو إذن –أي المجال– ذو وظائف اجتماعية متراتبة"[7]، فما يحمله الفضاء من عناصر وعلاقات ووضعيات وممارسات تشرح هذه العلاقات ووظائفها، ويعبر الفضاء على كل ما يخص الحياة اليومية ويرتبط معها. وتختلف الممارسات حسب الفضاء: "ممارسات تكون مشروعة في فضاء معين قد لا تكون كذلك في فضاء آخر"[8]، وعليه تختلف الممارسات فيما إذا كان الفضاء حميمي خاص أو عمومي.

2.2 مفهوم الفضاء العمومي

يعد الفضاء العمومي مفهوم صعب ومتعدد الجوانب، وقد اعتبر **ميشال فوكو** M. Foucault "الفضاءات العمومية أماكن عمل، وبالتالي هي فضاءات لاستمرار أو بقاء الجماهير، وهي متواجدة في مراكز الصراعات الحادة والمتكررة بين مختلف السلط التي تسعى لاستعمالها كأداة تعليمية بغاية سياسية أو دينية، أو كرهان اقتصادي. وتشكل الأماكن العمومية رهانات ذات أهمية خاصة، وبالتحديد، لأنها لا تستطيع في أي وقت أن تستعيد الجماهير ملكيتها عبر الثروات أو الاحتفالات التي لا تعترف بشرعية السلط منها لضبط الاستعمال"[9]، وينطلق مفهوم **هابرماس** J. Habermas للفضاء العمومي من نفس الزاوية [10] ويؤكد ارتباط هذا المفهوم بمفاهيم أخرى كمفهوم الحرية والنظام السياسي والديمقراطي؛ حيث يرى أنه يعني "الاستعمال العمومي للعقل داخل المجتمعات البرجوازية، أين يتم إبراز الفرق بين النبيل الذي يجمع الضرائب والبرجوازي النشط الذي يدفعها، وهو المعروف بالمواطن الذي يأخذ أحقيته من النشاط السياسي وفي المشاركة في اتخاذ القرار"[11]. إن الفضاء العمومي عند **هابرماس**

J. Habermas : "الحيز المعنوي الذي يتم فيه عقد النقاشات العامة، من أجل اتخاذ القرارات التي تسير الشأن العام" [12]، إذن يطرح هابرماس الفضاء العمومي كمفتاح للديمقراطية يسمح بالتبادل العقلي للآراء وجهات النظر.

ويعرف **كيري لويس** L. Quéré الفضاء العمومي على أنه: "فضاء رمزي يسمح للأفراد بالتموقع والتموضع داخل المجتمع واتجاهه، فالمفهوم يحمل فكرتين الأولى أنه مجال عمومي للتعبير الحر، تنظر إليه كفضاء للاتصال والثانية أن الأفراد بداخله يبرزون أرائهم خلال النقاش العلني، بحيث يلجئون إلى استعمال دلالات عقلانية، في محاولة إيجاد حلول مناسبة للمسائل العامة" [13]

وقد اقترح **محمد ناشي** عشر عناصر تأسيسية لمبادئ الفضاء العمومي، تتمثل فيما يلي: [14]

1. فضاء فيزيقي، بوصفه مكان حقيقي réel (جغرافي، حضري، ريفي...) أو تقديري virtuel (الشبكات الاجتماعية) أين يتجلى ضمنه "العمومي"، وتجتمع داخله الجماعات، الأفراد، وكذلك الأشياء (الأجهزة، النصوص، الكفاءات، البنى...) وأشباه الأشياء (كائنات هجينة des êtres hybrides على حسب تعبير برينو لاتور (Bruno Latour)
2. فضاء رمزي أين تتجلى داخله المواقف والآراء والقناعات التي تساهم في وضع الأسس للفعل أو الالتزام والتأسيس للعبة السياسية.
3. فضاء للكلام أو الخطاب، بمعنى مكان للتبادلات، التفاعلات، النقاشات، الاحتجاجات، والنقد. هذه الأماكن تكون ممثلة في المقهى، السوق، المسجد، الجمعية، الجرائد، وسائل الاتصال، والشبكات الاجتماعية...
4. "جمهور" متمثل في جمع من الأفراد المتفاعلين فيما بينهم، يعرضون أفعالا وأشكالا من الالتزام الجماعي.
5. خطابات تمثل تعبيرا عن حالات التفاعلات، عن النقاشات والانتقادات وعن الآراء المتبادلة.
6. سيرورات ممارسات الأفعال، المطالب، التنظيمات والقرارات.

7. الرؤية والإعلان بصفتها توضيحا لطريقة التجلي في الفضاء العمومي.

8. دينامية للمشاركة تشتغل تبعا لنمط الاندماج/ الاقصاء (النساء، الأقليات، المهاجرون...) أي وفق علاقات القوة والسلطة.

9. تفاضل وتنافس بين الفاعلين يفترض هرمية وتقسيما للأدوار والمهام والنشاطات.

10. مخيال اجتماعي (بتعبيركاستورياديس Castoriadis) يمثل أساس السيرورة الابداعية للتجلي في الفضاء العمومي وأساس بناء العالم المشترك ونمط المشاركة الجماعية.

ومنه يحمل الفضاء العمومي عدة معاني، فهو فضاء مادي (فيزيقي) يشمل الأماكن ذات الاستعمال المشترك كالساحات العمومية، المقاهي، الأسواق، المساجد وغيرها، وهو أيضا فضاء رمزي لأنه مجال للتبادل الحوار والآراء والمنافسات وغيرها.

إنّ الفضاء العمومي مجالا للمعاشرة الاجتماعية، تتيح للفرد تطوير شبكة علاقاته الاجتماعية من خلال الاحتكاك والتفاعل والالتقاء مع الآخرين، وتأخذ المعاشرة الاجتماعية عدة أشكال في الحياة اليومية :الالتقاء المباشر، تبادل النظرات، تبادل التحية، استراق النظر، طلب العفو، طلب معلومات أو مساعدة... وهذه السلوكات البسيطة تؤدي إلى خلق حوار ونقاش وتبادل الحديث بين الأفراد، ولذلك يمكن اعتبارها نقطة بداية لعلاقة اجتماعية جديدة؛ ولكن لا يجب النظر إلى هذه الأشكال من المعاشرة منفردة، أي كل واحدة مستقلة عن الأخرى، بل يجب النظر إليها في سياق عام لكي نتمكن من اكتشاف النسيج الاجتماعي المعتبر الذي تشكله، وبالرغم من أنها تبدوا سطحية، مؤقتة، ظرفية وعابرة، إلا أنها مصدر مهم لخلق علاقات التضامن و أشكال المشاركة الاجتماعية.

وبذلك يمكن اعتبار الفضاء العمومي ذلك الحيز أو المكان أو المجال المفتوح للجميع من أجل استعماله والاستفادة منه، فيتخذون الأفراد ضمن هذا الفضاء سلوكات معينة حسب الوضعية التي يتواجدون فيها، فيتفاعلون ويتبادلون المواقف والآراء والانشغالات. ويعد الشارع أو العمارة أولى أماكن الاتصال، فالشارع بشكل عام "فضاء استراتيجي للألفة الاجتماعية (sociabilité)" [15]، وذكر **نوربات**

إلياس N. Elias كيف أن الالتقاء في الشارع أو في الطريق يؤسس إلى روابط اجتماعية، ويدخل الأفراد في شبكة من الارتباطات[16] ، ناهيك عن الدور الذي تؤديه الفضاءات الاجتماعية في ذلك.

وللرجال فضاءات خاصة بهم تتمثل في المقاهي وأرصفة الطرقات خاصة، وللنساء فضاءات اجتماعية أخرى، فإلى جانب الفضاء السكني كفضاء للتواصل والالتقاء، تتواجد فضاءات جديدة أصبحت متنفسا للنساء، ورغبة للهروب من الحياة الرتيبة في المسكن، لتسهيل التواصل والالتقاء بين الجيران داخل الحي الواحد، من بين هذه الفضاءات المسجد والحديقة العامة وأمام باب مدرسة الأطفال.

3.الفضاءات الاجتماعية الرجالية

يعتبر المقهى في الجزائر من الفضاءات الاجتماعية الخاصة بالرجال بامتياز، يلعب دورا كبيرا في خلق الرابط الاجتماعي بين الأفراد، فهو ليس فضاء لتناول القهوة أو الشاي والمشروبات، بل يعمل على عقد العلاقات الاجتماعية واستمرارها، كما يعد أكثر "الأماكن العامة حضورا في الجزائر" [17]، وتعرف على أنها "فضاءات للألفة الاجتماعية" [18]

يتضمن المقهى طاولات وكراسي متشابهة من الداخل وكدا من الخارج، يحوي أيضا على دورة للمياه (toilette) وتلفاز كبير الحجم (Plasma)، وعليه يتواجد في المقهى ثلاث وضعيات، وهي:

- طاولة التاجر comptoir: هي طاولة موجودة بين التاجر والزبون، تفصل بين المطبخ وقاعة الجلوس، وقد يستعملها الزبون عندما يكون بمفرده، ومستعجلا، من أجل شرب قهوته واقفا.
- طاولة الشرب بكراسي تحيط بها داخل المقهى، تستعمل عند التقاء الزبون بالأصدقاء أو المعارف كالجيران على سبيل المثال.
- طاولة الشرب بكراسي تحيط بها خارج المقهى، تستعمل للغرض نفسه ألا وهو الجلوس مع الأصدقاء والمعارف لشرب القهوة وغيرها.

الوضعيتان الأخيرتان تستعمل عندما يكون البقاء بالمقهى فترة أطول على عكس الوضعية الأولى، كما أن استعمال إحداهما مرهون بالأحوال الجوية، فإذا كان الحر أو البرد شديدين، يفضل استعمال الوضعية الثانية، أما إذا كان عكس ذلك فيفضل الوضعية الثالثة.

يتردد على المقهى مختلف الفئات العمرية، وعلى اختلاف وضعياتهم السوسيواقتصادية، فنجد بالمقهى الشباب والشيوخ على حد سواء، العاطلين عن العمل (بطالين ومتقاعدين) والمهنيين، المدخنين وغير المدخنين وغيرهم، فهو الفضاء المفتوح للجميع، ومركزا للألفة الذكورية على وجه الخصوص. تتراوح مدة البقاء في المقهى ما بين نصف الساعة إلى الساعتين في المتوسط، وبأقل تكاليف؛ حيث يقدر سعر فنجان القهوة ب30 أو 40 دج وكأس الشاي يساوي 20دج، أما ثمن المشروبات فيتراوح ما بين 50 و70 دج. وتستعمل المقاهي ويكثر التردد عليها عندما تكون مناسبة خاصة، أومن أجل مناصرة الفريق الوطني في كرة القدم خاصة، فتخلق نوع من الحميمة، والحيوية والمشاركة الجماعية.

يعد المقهى فضاء للترفيه؛ حيث يتضمن وسائل الترفيه للرّواد، تمارس فيه لعبة الورق، وضومينوdominos خاصة، وغيرها من الألعاب، كما يعتبر فضاء للتعارف والالتقاء، وفي هذا الإطار توصل **مراد ريفي** إلى أن المقهى يحتل المرتبة الأولى للتعارف بالمقارنة مع المطعم والحانة، فهو المكان الوحيد للتعارف أين يقضي فيه الزبون وقتا أكبر[19] وأشار أيضا ذات الباحث إلى أن هذا التعارف الذي يحصل في المقهى يكون كتمهيد لروابط جديدة، قد تستمر طويلا[20].

ففي المقاهي تنسج الروابط الاجتماعية وتعطى المواعيد، وتعقد الصفقات أيضا، كما يبدو في التصريح أحد الرجال (42 سنة، متزوج، بطال):*"نعرض صحابي .... ،كيما نهار العيد مين جاو يغافروني تلاقينا في القهوة"* ، إذ أن الرجال لا يلتقون بأصدقائهم داخل الفضاء السكني فهذا شيء مستبعد، باعتبار هذا الأخير خاص بالمرأة بلا منازع، فاستضافة الرجال للرجال داخل الفضاء السكني يكون في ظروف خاصة كالمرض على سبيل المثال الذي يستدعي زيارة الجار لجاره.

وعلاوة على ذلك يعتبر المقهى فضاء لإفراغ المكبوتات يعطي نوع من الأريحية النفسية، ويخفف من الضغط الاجتماعي، ما يؤكده التصريح الموالي لأحد الشباب (40 سنة، أعزب، عون أمن):*"نتلاقوا في القهوة، ما عندنا وين عليها"* ، خاصة في غياب مرافق أخرى؛ المقهى أيضا فضاء للمعلومات، يمكن أن نتعرف على كل ما يحصل في الحي وفي المدينة وفي العالم من خلال المقهى، لأن داخله تثرى كل المواضيع على اختلافها، النساء، العمل، الوضع الاقتصادي، السياسي، كرة القدم... ولا يوجد أية حدود في

التكلم أو الخطاب، فلا قيود تفرض على الرجال في غياب عنصر النساء، على عكس الفضاءات التي تتواجد فيها النساء والتي تفرض عليهم انتقاء الكلمات.

إذن المقهى يتعدى أن يكون ديكورا، فهو متعدد ومتجدد في تركيبته ووظائفه، فلم يعد ذلك الفضاء الذي يبرز البطالة، والممارسات المشبوهة فقط، بل أيضا يعمل على خلق فرص للمعاشرة الاجتماعية.

ويتخذ رجال الحي السكني من أرصفة الطرقات فضاءا آخر للالتقاء، فيجلسون على أرصفة الطرقات المحاذاة للمساكن، يتكلمون في كل المجالات الحياتية، كما أنهم ومن خلال مواقعهم يترقبون تحركات الجيران.

4. المسجد وخلق الروابط الاجتماعية

يعرف المسجد على أنه: "مؤسسة اجتماعية ينشئها المجتمع المسلم بهدف تأهيل النشء للحياة الاجتماعية المنضبطة بقيم الإسلام ومبادئه" [21]، فهو بيت الله يجتمع فيه السلمون لأداء صلواتهم وتلاوة القرآن الكريم والاستماع إلى ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم.

إنّ "المسجد كمجال للعبادات وكدا لتنظيم المعاملات وكذلك كمجال للأخبار، مؤسسة منها يتلقى الخبر والتعليق عليه، وفيه كانت تؤخذ القرارات الحاسمة" [22]، ومنه يستمد المسجد خاصية العمومية في كونه يشغل حيزا أساسيا في حياة المسلمين، فهو ليس فقط مكانا للصلاة والعبادة، بل هو أيضا مكان للنقاش في الشؤون الاقتصادية والثقافية. وكثيرا ما تقام فيه حلقات للنقاش والتشاور، فهو محل تشاورهم وتناصحهم ومنبع تعاونهم، كما يعد وسيلة إرشادية نصحية تعليمية، وأيضا مؤسسة خدماتية تحقق التكافل الاجتماعي، والمسجد أيضا مكانا للصلح بين المتخاصمين.

يعتبر المسجد مكان تعارف المسلمين ووسيلة تآلفهم يجتمعون فيه للصلاة، ويلتقون بالجيران خمس مرات في اليوم – وقد تنقص عن ذلك بسبب التزامات الأفراد–، الأمر الذي يسمح بالتعارف وتجديد الروابط الاجتماعية باستمرار، فيبدو المسجد إذن كفضاء للتعارف ونسج علاقات جديدة.

يساهم المسجد في تماسك العلاقات الاجتماعية، وهذا لأن في التقاء المسلمين داخله فرصة لتكوين علاقات مبنية على الأخوة وإذابة الفوارق الطبقية، فتنسج في المسجد إذن شبكة من العلاقات

الاجتماعية، قد تتعدى حدود المسجد وقد لا تتعداه، كما يبرز في التصريحين المواليين: الأول لسيدة أسرة (60 سنة، أرملة، ماكثة بالبيت)؛ حيث تقول: "*حنا هنا* [تقصد داخل المسجد] *مين نسمعوا بكاش حاجة عند وحدة روحولها، كيمة فتيحة مين جات من العمرة، رحنا باركنالها، ولا كاش وحدة يصرا عندها موت في غير وجهك روحوا نعزوها (...)*"، أما التصريح الثاني يبيّن العكس، تقول ربة أسرة (60 سنة، متزوجة، ماكثة بالبيت): "*جوارينى هنا منيش مخالطتهم، عندي احباباتي في الجامع (...) أحباب الجامع يقعدو في الجامع*".

تقام داخل هذا المسجد احتفالات خاصة من شأنها توطيد العلاقات والروابط الاجتماعية، كعقد القران، أو ما تعرف ب"الفاتحة"، والتي من شأنها الجمع بين الجيران والاحتفال معا، فهي فرصة للتواصل وفك الخصومات أيضا. كما تقام داخل المسجد حلق العلم ومجالس الوعظ والذكر وحفظ القرآن وتلاوته. وإن المدة التي تقضيها المرأة بعيدة عن مسكنها وبصحبة الجيران بالمجتمع المحلي، يحتم عليها التحاور معهم والسؤال عن أحوالهم، وقد أشار **عبد الرحمان موساوي** إلى ذلك واعتبر التقاء النساء بالمسجد وخاصة في صلاة الجمعة فرصة للتبادل والتعارف[23]. وهناك بعض النساء من تتواعد مع جاراتها داخل المسجد، ليس للذكر أو للصلاة وقراءة القرآن وتلاوته فحسب، بل أيضا من أجل تجديد رؤية جاراتها والتواصل والتحاور معهن عن الأمور الحياتية ومشاكلهم وغيرها، وفيه أيضا تناقل لأخبار الجيران، وهذا ما لاحظناه من خلال ترددنا على المسجد، حيث شهدنا في إحدى المرات صراع حاد بين بعض النساء داخل المسجد، وصل إلى المقابلات والمشادات الكلامية، ما ادعى بالإمام إلى تكثيف خطبه حول الوظيفة التعبدية للمسجد، وترك كل الأمور الدنيوية خارج أسواره.

هذا ناهيك عن بعض الصراعات التي تنشأ بين رواد المسجد، بسبب تناقض بعض المواقف، ما يخلق أطرافا بمرجعيات مختلفة، يحاول فيها كل طرف فرض سيطرته، وأحقيته بتملك الفضاء، وهذا ما أشار إليه **مروفل** الذي أكد من خلال دراسته الميدانية أنّ المسجد لم يعد معبدا لأداء الطقوس وطلب الخلاص فحسب، بل هو مكان لتحقيق التمايز والتنافر والتأهيل وعدم التأهيل والتضارب الجيلي ضمن سياق منظومة القيم والمعايير السوسيوثقافية [24]

إذن يتجاوز المسجد دوره التعبدي والديني إلى ما يخلقه من مساحة للروابط الاجتماعية، فيسمح بخلق التبادل واللقاء الاجتماعي بين الجيران أيضا، ويظهر كمجال للتواصل وترسيخ قيم علائقية بين الأفراد، ففيه نلاحظ شدة الروابط الاجتماعية تصل أوجها في الحفلات التي تتم داخله، المتمثلة خاصة في ليلة 27 من رمضان، ومولد نبي الله صلى الله عليه وسلم في 12 ربيع الأول من كل سنة، يتهافت الجيران إلى المسجد، بعضهم يكون محمل بأطعمة ومأكولات وبعض الحلويات والحلوى ومشروبات وغيرها يساهمون بها ويتشاركون معا في هذه الاحتفالية، فتبرز الحياة المشتركة.

وعليه يعمل المسجد على خلق التفاعل الاجتماعي بين الجيران، في شكليه التضامني والصراعي.

5. الحديقة العامة مجال للتعارف والالتقاء

إنّ الاهتمام بالحدائق والمساحات الخضراء قديمة العهد، بدءا بالحضارات القديمة، واشتغل العرب أيضا بالاهتمام بها[25]، لأنها تعطي دون أدنى شك للوسط الحضري المنظر الجميل. وتعتبر الحدائق العامة والمنتزهات الخضراء أمرا هاما فهي "الرئات التي يتنفس من خلالها سكان المدن، وإن من فوائد المناطق الخضراء، أنها تحد من تلوث الهواء في الجو، ونتيجة امتصاص الأشجار للغازات الملوثة تجلب الراحة النفسية"[26]

كما تعتبر الحديقة فضاء للترويح والالتقاء بين الجيران، ما يظهر في استشهاد إحدى السيدات (47 سنة، متزوجة، ماكثة في البيت): *" سهرات رمضان دايما نقتوها في Jardin لكان نقعدو في ديارنا ننغمو. الواحد يشويا يبدل مع جوارينه"* ، من أجل كسر الروتين وتجديد الحياة الاجتماعية، فهو المتنفس للنساء ماكثات البيوت خاصة.

وقد أشارت **عمارة بكوش** إلى أن إنشاء المساحات الخضراء الحضرية بشكل عام كان بهدف، يتمثل في "أن تكون فضاءات للتجمع، تتفوق فيها نشاطات اللعب الاستراحة والمرح"[27]، ونراها نحن أكثر من ذلك فهي مجال للترابط الاجتماعي، فالمساحات الخضراء تلعب دورا اجتماعيا أيضا، فهي أماكن تجمع مختلف الفئات العمرية، الأطفال للعب والمرح، والراشدين للتعارف وتبادل الآراء والراحة أيضا. وعليه تكثر استعمالات الحديقة مجال الدراسة فيما يلي:

- الترفيه: تستعمل الحديقة للترفيه، ولكن هذا الاستعمال يختلف من فئة اجتماعية إلى أخرى، ومن فترة زمنية إلى أخرى، فقد لاحظنا أن حضور النساء يكون أقوى في فصل الربيع وفي شهر رمضان خاصة.
- عقد علاقات جديدة: أضحت الحديقة العامة فرصة للتعارف وعقد علاقات جديدة، كما جاء على لسان احدى المبحوثات (33 سنة، عزباء، ماكثة في البيت): "*تعرفت عليها* [تقصد صديقتها تسكن في المجتمع المحلي] *في jardin ولات تجي عندي وروح عندها نخرجوا ختارت مع بعض...*"
- التواعد والالتقاء: بمعنى أن الحديقة مكان لتجديد المواعيد بين الأصدقاء، الزملاء، وكذا المرتبطين عاطفيا، غيرها.

إنّ زيارة الحديقة العامة مع الجيران أو التواعد معهم للإلتقاء يكون أكثر حدة في شهر رمضان، وخاصة عندما يتم توفير حديقة للتسلية manage للأطفال، فالسهرات الرمضانية لم تعد في البيت أو داخل الفضاء السكني، بل شملت فضاءات أخرى حسب ما أسفرت عنه دراستنا الميدانية. وعليه تعتبر الحديقة فضاء لإحياء السهرات الرمضانية، أما باقي أيام السنة زيارات الأسر إليها قليلة جدا، وتكون مجملها في المساء، وفي عطلة نهاية الأسبوع. وكلما زودت بحديقة للتسلية زاد الإقبال عليها، فتصبح فرصة للعب الأطفال. ويكون الحوار داخل الحديقة في كل الأمور الحياتية، اجتماعية كانت أو اقتصادية معيشية وغيرها، وما يطرح بكثرة أخبار الجيران والسؤال عن كل الزائرين والوافدين إلى الحديقة، لتفتح ملفات كل منهم على ألسنة النسوة.

6. مدرسة الأطفال فضاء للالتقاء بين الجيران

يتم التعارف على الجيران عند نقل الأطفال إلى المدرسة، فالملاحظات الميدانية أثبتت أن المدرسة أضحت فضاء للالتقاء والمحادثات بين الأولياء، الذين يوصلون أبنائهم إلى المدارس بسبب ظروف أمنية وخوفا من خطف الأطفال – الظاهرة التي انتشرت بشكل رهيب –. كما تسمح المشاجرات بين الأطفال بخلق نوع من الرابطة الاجتماعية، وهذا ما أشار إليها **نبيل سميدة** بقوله: "الأطفال مؤشر للتقارب الاجتماعي"[28] ، وإن غياب أحد الأطفال عن المدرسة يعني وجود مشكلة فيحرص الجيران على التوجه إلى

الأسرة المتغيب طفلها للاطمئنان عليها، تصرح إحدى الوالدات (48 سنة، متزوجة، ماكثة بالبيت) توفي خالها: *"مين عّيب ابراهيم ولدي على قراية رسلتلي جارتي لي en face بنتها تسقسيني ومين قولتلها خالي مات جات تعزيني مع الجارة لي تحتها"* ، فبسبب الأطفال أدركت الجارة أن جارتها المجاورة لها تمر بمشكلة، تتطلب منها السؤال عن حالها ومن تم زيارتها.

وتعد المدرسة فضاء لخلق روابط اجتماعية ما يبرز في تصريح سيدة (34 سنة، متزوجة، ماكثة بالبيت): *"ندي بناتي ونجيبهم من الكوليج دائما، وتماك درت الصحابات، نجمع معاهم ونهدرو على كلشي. وليت نفاجي على روحي. ختارت على الوحدة ما رحوش لديارنا، نقعدو حتى يخرجوا ولادنا على الزوج ونصف"*، فقد تجد بعض النساء تعويضا عن العلاقات بين الجيران القريبات مجالين في أخريات داخل المجتمع المحلي، ثم إن الالتقاء بين النساء لم يعد داخل الفضاء السكني كما كان في السابق، بل تعداه إلى فضاءات أخرى.

7. خاتمة

إن نمط السكني الجديد خلق نموذج علائقي جديد، وأنتجت التحولات الاجتماعية مجالات للتواصل والتقارب والمعاشرة الاجتماعية في المجمعات السكنية لخلق روابط اجتماعية بين الجيران، فالتعارف الذي يحدث في الشارع في الطريق وفي الفضاءات العمومية عن طريق الالتقاء المستمر، وتبادل الحوار، يخلق علاقات اجتماعية، التي قد تتطور وتصل إلى الالتقاء داخل الفضاء السكني، ويمتد التبادل إلى أبعاده المتنوعة؛ وقد يقتضي كل فضاء جماعة معينة تسمى جماعة المسجد، أو جماعة الحديقة أو جماعة المقهى، أو جماعة المدرسة، هذه العلاقات التي تتكون داخل هذه الفضاءات قد تتعداها إلى داخل الفضاء السكني.
ويعتبر الالتقاء الذي يكون بين الجيران داخل الفضاء السكني أكثر حميمي من الالتقاءات والتواصلات الأخرى.

8. الهوامش:

[1] SCHOONBRODI, R., Sociologie de l'habitat social : Comportement des habitants et architecture des cité, Edition des archives d'architecture moderne, Bruxelles, 1979, P. 49

[2] LEDRUT, R., La forme et le sens dans la société, Ed Librairie des Méridiens, Paris, 1984, P. P. 107-112

[3] CASTELLS, M., La question urbaine, Ed François Maspero, Paris, 1981, 475

[4] MOLES, A.- ROHMER, E., Psychosociologie de l'espace, L'Harmattan, Paris, 1998, P.17

[5] HADJIDJ, D., « Urbanification et appropriation de l'espace Le cas de la ville d'ORAN », Insaniyat, CRASC, Oran, N° 16, Janvier 2006, P.P. 237- 243

[6] BONTE, P.- IZARD, M., Dictionnaire de l'ethnologie et de l'anthropologie, Puf, Paris, 1991, P. 235

[7] LEFEBVRE, H., La production de l'espace, 4e Ed Anthropos, Paris, 2000, P. 41

[8] MARC, E.- PICARD, D., L'interaction sociale, Puf, Paris, 1989 , P.123

[9] زقور غفاف، "الفضاء العمومي وأبعاده المركبة بمدينة الجزائر: نادي الترقي والتعبئة الدينية- السياسية (1927-1940)"، ضمن كتاب: الفضاءات العمومية في البلدان المغاربيّة، حسن رمعون وعبد الحميد هنية، منشورات الكراسك، وهران، الجزائر، 2013، ص. 123

[10] Cf. HABERMAS, J., L'espace public : Archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoise, Traduit de l'allemand par Marc B. de Launay, édition Payot, Paris, 1997.

[11]مالفي عبد القادر، "إمكانية تأسيس فضاء عمومي بالجزائر وفق المنطق النظري والتطبيقي لهابرماس"، ضمن كتاب: الفضاءات العمومية في البلدان المغاربيّة، حسن رمعون وعبد الحميد هنية، منشورات الكراسك، وهران، الجزائر، 2013، ص. 37

[12]COTTEREAU, A. – PAUL, L., Pouvoir et légitimité, Ed de l'école des hautes études en sciences sociales, Paris, 1992, P. 35

[13] QUÉRÉ, L., Agir dans l'espace public : Les formes de l'action, Ed. de l'EHESS, Paris, 1990, P.101

[14] NACHI, M., « Les espaces publics au Maghre. Eléments pour la construction d'une problématique sociohistorique contextualisée à partir du cas tunisien », In : Les espaces publics au maghreb, REMAOUN H.- HENIA A. (sous la direction), CRASC, Oran, 2013, P. 27

[15] DOVIER, APPRILL É.- GERVAIS, LAMBONY P., Vies citadines, Belin, Paris, 2007, P. 65

[16] ELIAS, N., La société des individus, Traduit de l'allemand par Jeanne Étoré, Fayard, Paris, 1991, P.P. 49-50.

[17] كارلي عمر، "المقهى المور، ألفة الرجال وفورة المواطنة [الجزائر القرن السابع عشر إلى القرن العشرين] "، مصر والعالم العربي، رقم 5، مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية، القاهرة، 1996، ص. 201

[18] ORTEGA MOJICA, D., Le café : une boisson et un lieu de sociabilité, Master tourisme et hôtellerie parcours «Management de l'Hôtellerie et de la Restauration», Le Mirail institut supérieur du tourisme, Université de Toulouse II., 2013, P. 81

[19] RIFFI, M., La construction du lien social dans l'espace urbain: exemple des cafés de Rabat, Thèse de doctorat, Architecture et urbanisation des territoires, Université de Rabat, 2009 , P. 71

[20] Ibid, P. 117

[21] زعيمي مراد، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2002، ص. 122

[22] شوقي محمد، التحولات الاجتماعية في المغرب (من التضامن القبلي إلى الفردانية)، أفريقيا الشرق، دار البيضاء، المغرب، 2009، ص. 157

[23] MOUSSAOUI, A. « La mosquée en Algérie : .Figures nouvelles et pratiques reconstituées », Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée [En ligne], 125 | juillet 2009, mis en ligne le 15 mai 2009, consulté le 04 juin 2014. URL : http://remmm.revues.org/6159

[24] مروفل مختار، الرابط الاجتماعي الحضري: الأسس والمعايير –مقاربة سوسيو-اثنوغرافية بحي الأمير خالد (الخروبة)وهران، مذكرة لنيل شهادة الماجيستار في علم الاجتماع، جامعة وهران، 2004، رسالة غير منشورة، ص. 84

[25] للتوسع أنظر: وزيري يحي، العمارة الإسلامية والبيئة: الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي، مطابع السياسة، الكويت، 2004، ص. ص. 207- 228

[26] بركات علي، "القواعد التنظيمية لجمال المدن"، مجموعة نشرات مجلة بلدي، الأردن، العدد77 ، 1988 ، ص. 53

[27] BEKKOUCHE, A., « L'espace vert urbain : entre pratique et conception », Insaniyat, CRASC, Oran, N° 2, Automme 1997, P. 70

[28] SMIDA, N., Production du territoire dans les nouveaux quartiers aisés de Tunis : cas d'El Menzeh d'El Manar, D.E.A. d'urbanisme, ENAU de Tunis, 2001, P.78

5. قائمة المراجع:

بركات علي، "القواعد التنظيمية لجمال المدن"، مجموعة نشرات مجلة بلدي، الأردن، العدد77 ، 1988.

زعيمي مراد، مؤسسات التنشئة الاجتماعية، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2002.

زقور غفاف، "الفضاء العمومي وأبعاده المركبة بمدينة الجزائر: نادي الترقي والتعبئة الدينية- السياسية (1927- 1940)"، ضمن كتاب: الفضاءات العمومية في البلدان المغاربيّة، حسن رمعون وعبد الحميد هنية، منشورات الكراسك، وهران، الجزائر، 2013.

شوقي محمد، التحولات الاجتماعية في المغرب (من التضامن القبلي إلى الفردانية)، أفريقيا الشرق، دار البيضاء، المغرب، 2009.

كارلي عمر، "المقهى المور، ألفة الرجال وفورة المواطنة [الجزائر القرن السابع عشر إلى القرن العشرين] "، مصر والعالم العربي، رقم 5، مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية، القاهرة، 1996.

مالفي عبد القادر، "إمكانية تأسيس فضاء عمومي بالجزائر وفق المنطق النظري والتطبيقي لهابرماس"، ضمن كتاب: الفضاءات العمومية في البلدان المغاربيّة، حسن رمعون وعبد الحميد هنية، منشورات الكراسك، وهران، الجزائر، 2013.

مروفل مختار، الرابط الاجتماعي الحضري: الأسس والمعايير –مقاربة سوسيو-اثنوغرافية بحي الأمير خالد (الخروبة)وهران، مذكرة لنيل شهادة الماجيستار في علم الاجتماع، جامعة وهران، 2004، رسالة غير منشورة.

وزيري يحيى، العمارة الإسلامية والبيئة: الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي، مطابع السياسة، الكويت، 2004.

BEKKOUCHE, A., « L'espace vert urbain : entre pratique et conception », Insaniyat, CRASC, Oran, N° 2, Automme 1997.

BONTE, P.- IZARD, M., Dictionnaire de l'ethnologie et de l'anthropologie, Puf, Paris, 1991.

CASTELLS, M., La question urbaine, Ed François Maspero, Paris, 1981.

COTTEREAU, A. – PAUL, L., Pouvoir et légitimité, Ed de l'école des hautes études en sciences sociales, Paris, 1992.

DOVIER, APPRILL É.- GERVAIS, LAMBONY P., Vies citadines, Belin, Paris, 2007.

ELIAS, N., La société des individus, Traduit de l'allemand par Jeanne Étoré, Fayard, Paris, 1991.

HABERMAS, J., L'espace public : Archéologie de la publicité comme dimension constitutive de la société bourgeoise, Traduit de l'allemand par Marc B. de Launay, édition Payot, Paris, 1997.

HADJIDJ, D., « Urbanification et appropriation de l'espace Le cas de la ville d'ORAN », Insaniyat, CRASC, Oran, N° 16, Janvier 2006.

LEDRUT, R., La forme et le sens dans la société, Ed Librairie des Méridiens, Paris, 1984 .

LEFEBVRE, H., La production de l'espace, 4e Ed Anthropos, Paris, 2000.

MARC, E.- PICARD, D., L'interaction sociale, Puf, Paris, 1989.

MOLES, A.- ROHMER, E., Psychosociologie de l'espace, L'Harmattan, Paris, 1998.

MOUSSAOUI, A. « La mosquée en Algérie : .Figures nouvelles et pratiques reconstituées », Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée [En ligne], 125 | juillet 2009, mis en ligne le 15 mai 2009, consulté le 04 juin 2014. URL : http://remmm.revues.org/6159

NACHI, M., « Les espaces publics au Maghre. Eléments pour la construction d'une problématique sociohistorique contextualisée à partir du cas tunisien », In : Les espaces publics au maghreb, REMAOUN H.- HENIA A. (sous la direction), CRASC, Oran, 2013.

ORTEGA MOJICA, D., Le café : une boisson et un lieu de sociabilité, Master tourisme et hôtellerie parcours «Management de l'Hôtellerie et de la Restauration», Le Mirail institut supérieur du tourisme, Université de Toulouse II., 2013.

QUÉRÉ, L., Agir dans l'espace public : Les formes de l'action, Ed. de l'EHESS, Paris, 1990.

RIFFI, M., La construction du lien social dans l'espace urbain : exemple des cafés de Rabat, Thèse de doctorat, Architecture et urbanisation des territoires, Université de Rabat, 2009.

SCHOONBRODI, R., Sociologie de l'habitat social : Comportement des habitants et architecture des cité, Edition des archives d'architecture moderne, Bruxelles, 1979.

SMIDA, N., Production du territoire dans les nouveaux quartiers aisés de Tunis : cas d'El Menzeh d'El Manar, D.E.A. d'urbanisme, ENAU de Tunis, 2001.